التوبة

التوبة والعودة إلى الله

ما معنى تائب؟

تائب يعني راجع.. يعني عائد إلى الله بكل قوتي... بكل إمكانياتي.. تائب إليك يا الله.. راجع لك يا رب بعد طول غياب. راجع بعد طول تخبط في ظلمات الذنوب الموحشة.

ربما في البداية يقول أحد الناس: وماذ نعمل نحن؟! نعيش بطريقة سليمة والحياة مستقرة... لكنني أقول: إننا نقع في معاصٍ كثيرة ولا نشعر بخطورة ذلك، بل أستطيع أن أقول أنَّ هناك أناس كثيرون حولنا ومعنا يقعون في كبائر... وأعرف أن هذا اتهام خطير... لكنها الحقيقة.. فشباب كُثُر يقعون في عقوق الوالدين، وعقوق الوالدين أليس كبيرة؟ إياكم أن تنسوا أن عقوق الوالدين هو الكبيرة الرابعة في الإسلام... أليست دمعة الأم الغضبانة مما يسبب غضب الله غضباً شديداً؟ والأب الذي عجز عن تربية أبنائه.. وخصوصاً ابنه الذي يرسب في الكلية أو يُدخن المخدرات.. أو الأم التي تبكي دوماً بسبب البنت المُصاحبة لشاب دون علم أهلها.. أليست كل هذه الأمور تحتاج إلى توبة؟ أليست هذه الأمور من

obeikandl.com

الكبائر؟... ألا تعرف أن غضب أمك وأبيك يمكن أن يكون أثقل في الميزان من كافة السيئات، بل من آلاف الذنوب التي فعلتها في سنة أو اثنتين أو ثلاثة؟ إذاً نحن لدينا كبائر تحتاج منّا لتوبة.. قد لا تكون ممن يشرب الخمر أو لا تكون ممن يزني، لكن عقوق الوالدين من الكبائر..

إذاً فأنت تحتاج إلى توبة...

كم رأينا من أُناس يُصلون في رمضان ثم يتركون الصلاة بعد رمضان، وكم منهم غير منتظم في صلاته حتى في رمضان، وكم منهم لم يُصلِ الفجر منذ عشرين عاماً.. أليس الفجر من الفرائض؟ هل تعرف أن ترك الصلاة من أكبر الكبائر التي تُغضب الله ﷻ، وأنها عماد الدين ومن هدمها هدم الدين؟ كارثة الاستخفاف بترك الصلاة.. فهناك باب في جهنم اسمه: (سقر). يقول عنه تبارك وتعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٧] يقول الله تعالى عنها إنها لا تترك أحداً.. كل من يدخل فيها تسيح خلاياه.. يتفتت تماماً ثم يتكون من جديد ثم يتفتت وهكذا.. ﴿مَا نَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] أمر فظيع، والملائكة الذين يقفون على الباب يسألون الداخلين: ما الذي أدخلكم؟... وكأنهم يشفقون على الداخلين.. فيجيبونهم أنهم لم يكونوا من المصلين..

وإذا أكرمك الله بترك الكبائر.. فانظر إلى ما تعتبره من الصغائر... آلاف الصغائر كل يوم.. تخيَّل كم نظرة حرام في

الأسبوع الماضي، والسيدات والفتيات كم كلمة غيبة قالتها الواحدة منهن في التليفون مثلاً.. طبعاً لا أقول ذلك حتى أضايقكم، أو أقول أننا ضائعون تماماً..

لكن حتى نشعر بجمال التوبة لا بد أن نشعر بقُبح الذنب.. فلا بد حتى نتوب أن تكون البداية موجعة بعض الشيء..

يا ترى لو كل ليلة أحضرت ورقتين إحداهما للكلام الحسن والأخرى للقبيح من كلامك في يومك الذي مضى.. يا ترى كم كلمة ستكتب في كفة الحسنات، وكم في كفة السيئات؟ وكيف ستكون نتيجة اليوم؟ ستكون طائعاً لله أم عاصياً له؟

سنجد بلا شك آلاف الذنوب، إذاً فنحن نحتاج بشدة إلى التوبة. أحد التابعين وهو: سفيان الثوري قال كلمة جميلة جداً، قال: جلست يوماً أعد ذنوبي ـ انظروا إلى اهتمامات الرجل بمستقبله، فالمستقبل ليس أولاداً وزوجة وأموالاً، لكن المستقبل جنة ونار ـ يقول: جلست يوماً أعد ذنوبي فعددتها، فإذا هي واحد وعشرون ألف ذنب ـ وهو تابعي جليل ـ فقال لنفسه: أتلقى ربك يا سفيان بواحد وعشرين ألف ذنب يسألك عن كل ذنب فيها؟... هذا تابعي جليل ممن تعايش مع جيل الصحابة.. فتخيّل نفسك في هذا الموقف..

فنحن ذنوبنا كثيرة جداً.. وأحياناً يُوضع في كفة السيئات ذنب كبير جداً، دون أن ننتبه له، ونقوم به ببساطة.. يعلو صوتك على أمك أو تتأفف لأبيك.. تعمل كوارث وتسبب مصائب.. إذاً نحن نحتاج أن نتوب عن أفعال كثيرة جداً.. نحتاج أن نتوب عن

نسيان تلك النعم التي تغمرنا، وتتنزل علينا من ربنا ولم نشكره عليها... لأنه في نفس الوقت هناك أناس لا يجدونها.. أليس عدم شكر النعمة يحتاج إلى توبة؟

نحتاج أن نتوب عن غفلتنا ـ الناس التائهة عن الله منذ عشرين أو ثلاثين عاماً ـ لأن من يقترف المعاصي يمكن أن يتركها، ومن يأتي الكبائر ربما يُقلع عنها.. لكن الغافل اللاهي عن الله الذي نسي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] فالغفلة أشد من المعاصي وتحتاج إلى توبة سريعة وجادّة... كلنا واقعون في ذنوب تعيق مسيرنا إلى الله.. وما أبرّىء نفسي.. فنحن كلنا لدينا ذنوب...

تعالوا أحكي لكم ماذا يقول الله عنا؟ وكيف يُنادينا؟

يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

بعد هذه «الكآبة» التي بدأنا بها وتذكُّر ذنوبنا وتقصيرنا يأتي الفرج من الله...

صدق أو لا تصدق! ذنوب عشرين عاماً أو أكثر تغفر في لحظة!

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ..﴾ أسلموا لله.. استسلموا له.. قفوا مع أنفسكم وعودوا.. والسؤال.. ماذا يريد الله منا؟

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] وانظر أيضاً إلى قوله بعدها ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨] لأنك لو لم تتب ستكون الوقفة ثقيلة جداً يوم القيامة، والله يُريد التخفيف عنا نحن الضعفاء.. وتأمل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وتجد اللهجة القرآنية قد أصبحت عنيفة عند الحديث حول الزنا ـ والعياذ بالله منه ـ وتبدأ اللهجة تتغير تماماً عند الحديث عن التوبة.. يعني ليس فقط أن يغفر لنا ويمحو السيئات ـ وهذا ما لا نُدركه وننساه ـ لكنه يُبدل هذه السيئات إلى حسنات... يعني لو تبتُ بدأت أتوب أعمل الصالحات تتحول السيئات إلى حسنات... يعني لو مضى على أحدهم خمس سنوات لم يقرب خلالها الصلاة، وتاب هذه اللحظة بمجرد انتظامه في الصلاة وأداء بعض السنن تُغفر له هذه السنوات الخمسة، بل إن سيئات السنوات الخمس السابقة تتحول إلى حسنات...!! (بالتأكيد مع ثبات حق الله تعالى في قضاء الفائت.. إنما إثم تركها قد هُدم!).

ما كل هذا الكرم يا رب!! سبحانك..

ونبيك ﷺ يتحدث عن التوبة...

ويحكي لك قصة إنسان لطيف جداً سيأتي يوم القيامة فيأمر

الله تعالى الملائكة أن يُنحّوا عنه كبائر ذنوبه، ثم يقول له تبارك وتعالى: اقرأ كتابك يا عبدي، فيقرأ الكتاب فيجد سيئات لا تُحصى ولا تُعد، فيظن أنه هالك ويسودُّ وجهه، فيقول له الله تبارك وتعالى: اقرأ كتابك مرة أخرى يا عبدي، ألم تكن قد تبت فيتذكر فيقول: بلى يا رب قد تبت.. قد تبت يا رب، فيقرأ فإذا بالسيئة قد قلبت حسنة.. فيُكلم العبد ربه ويقول: يا رب إن لي ذنوباً أخرى نسيت الملائكة أن تكتبها وأنا أعرفها جيداً!. حتى أن النبي ﷺ وهو يحكيها ضحك وبانت نواجذه الشريفة ﷺ..

أرأيتم التوبة وجمالها.. وكم هي رائعة؟.

وتأمل قول النبي ﷺ وهو يقول: **«يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب إلى الله وأستغفره في كل يوم مائة مرة»**.

[رواه الإمام أحمد في مسنده، وروى معناه مسلم في صحيحه].

رسول الله يتوب في اليوم مائة مرة، وأنت لك عشرة سنين لم تتب مرة واحدة، الرسول المعصوم!! وأنت العبد الخطّاء!!..

عن ابن عُمَر قال: إنْ كُنَّا لَنَعُدّ لِرَسُولِ الله ﷺ في المَجْلِسِ الوَاحِدِ مَائَةَ مَرّةٍ: **«رَبّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إنّكَ أَنتَ التّوَّابُ الرّحِيمُ»** [رواه الترمذي وأبو داود].

يتكلم النبي ﷺ مع الصحابة ثم يصمت قليلًا فيسمعه الصحابة يقول: أستغفر الله وأتوب إليه.. أستغفر الله وأتوب إليه.. ثم يتكلم قليلًا ثم يصمت ليستغفر الله ويتوب إليه مرة ثانية..

واسمع قول النبي ﷺ عن أبي موسى ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: **«إن الله ﷻ يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**. [رواه مسلم].

من الذي يبسط يده؟؟ المُحتاج.. ومن يحتاج؟ العبد، ولكن كرم الله أنه يبسط يده للعبد.. واسمع قول النبي ﷺ : **«يتنزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيُنادي: هل من تائب فأتوب عليه؟.. هل من مُستغفر فأغفر له»**. الله جلّ جلاله هو الذي يعرض علينا كل يوم قبل الفجر بثلاث ساعات ونصف تقريباً...

وتخيَّل أن الرسول ﷺ يُخبرنا أن الله يفرح بتوبة عبده، تخيَّل أنك عاصٍ له منذ سنين وترتكب ذنوباً كبيرة.. ثم جاء يومٌ تقول فيه:

يا رب تبت ولن أعود للذنب.. فيفرح الله بهذه التوبة.

قصص من الواقع

آية هزت كيان عبد الرحمن

اسمي عبد الرحمٰن، طالب في كلية الحقوق الفرقة الثالثة.. أسكن في منطقة شعبية، وكنت أحب الرياضة جداً وأهلي كانوا يشجعونني عليها دائماً.. ونظراً لطولي الشديد كانت أمنيتي أن أكون لاعب كرة سلة وكنت أحلم بالنجومية.. لكن ما حدث أنني حين ذهبت إلى أحد النوادي الكبيرة، كان المعيار الأساسي أن فلاناً جاء

من منطقة شعبية، وأنه ليس من مستوانا، وأشياء من هذا القبيل.. طبعاً هذا أثّر عليَّ جداً، أصبحت كل أمنيتي أن أصبح مثل هؤلاء في نفس مستواهم، طبعاً بدأت أذهب للمعمورة وأقابل شباباً وبنات.. وبدأنا نخرج ونتسابق بالسيارات... تفلت شديد.. وتدخين.. ومرة واحد من الأصحاب عزم عليَّ بسيجارة، طبعاً كانت سيجارة غير عادية.. بدأت معها التعاطي والأشياء الأخرى.. دخلت الكلية ووجدت المجتمع الغريب.. يعني كأن الشباب لا يهمه التعلم.. كل ما يهمه هو عرض الأزياء والخروج والسهر وهكذا.. وطبعاً كنت أبكي لأنه ليس معي أموال لأشتري مثلهم أو أخرج مثلهم.. خاصة أنني تعرّفت على فتاتان تعملان في مجال عرض الأزياء.. ومن هنا كانت بداية الانحدار؛ لأنني أحببت أن أجاريهم.. فبدأت أفكر كيف أحصل على المال؟ وكان هذا هو كل همي.. فبدأت أتعرف على شباب من هذا المستوى: ضائعة وهمها الوحيد المظاهر وجمع المال..

وصاحبت أحد هؤلاء.. وعرضت عليه أفكاري تجاه المال، فقال لي أنه مثلي تماماً لكنه يعرف كيف يحصل على المال وخلافه.. وأنا كنت أمارس رياضة الأجسام وجسمي قوي وشكلي مميز، فبدأ يعرّفني على أناس أغنياء جداً باعتباري رياضياً وحماية لهم من أي شيء، فبدأت أحضر «قعدات» لم أكن أتخيلها ولا أحلم بها.. شرب خمور. وتعاطيت المخدرات لمدة ثلاث سنوات.. صحتي بدأت تتعب تدريجياً.. ووجدت شيئاً غريباً جداً، بدأت الخلافات مع كل هؤلاء الناس.. حتى أن ملابسي التي كنت أتباهى بها بدأت تُقطع بشكل غريب، وكل يوم هناك شيء يُقطع.. وشيء لا يمكن إصلاحه.

وفي أحد الأيام وأنا جالس في بيتنا الساعة الثالثة صباحاً بدأت أنظر إلى جدران منزلنا وأقول: لماذا تكبّرت على هذه العيشة؟ هذا المكان الذي تربيت فيه.. اشتقت جداً لهذا الجو البسيط: جو الأسرة والأهل.. فبدأت أنهار وأسأل نفسي سؤال.. لماذا خلقتني يا رب؟! والله في هذه اللحظة ـ وأقسم على ذلك ـ أكرمني بصوت راديو يأتي من بعيد فسمعت آية هزت كياني كله.. وهي تقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. فما وجدت نفسي إلا وأنا أسجد، لم أملك إلا ذلك.. وبكيت بكاءً شديداً وربما لم أقم من هذه السجدة إلا بعد الفجر.. وقمت فاغتسلت وتوضأت، فشعرت بإحساس عجيب جداً، أحسست أنني عطشان لرضى الله سبحانه وتعالى، وعرفت لماذا كنت أشعر بالضيق وكأنني مخنوق؛ لأنني أكيد كنت أحتاج لله سبحانه وتعالى، وكنت بعيداً عنه.. هذه اللحظة شعرت بأن النور بدأ يدخل حياتي.. وبدأت آخذ عهداً على نفسي أني لو فعلت ذنباً سأرد عليه بطاعة الله ﷻ.. يعني: لو أخطأت ودخّنت سيجارة أصوم يوماً.. فشعرت كأنني أبني شخصيتي من جديد، وأقوّي عزيمتي.. وأنا لي حوالي عامين أعيش حياة جديدة، ولا أريد أن أبتعد عن المسجد، وأدعو الله أن يثبتني على الطريق..

سبحان الله.. العلماء لهم كلمة جميلة جداً يقولون: كما أن البطن تجوع للأكل، فالروح تجوع الى حب الله وتشتاق اليه.. وعبد الرحمن عبر عنها بكلمته: عطشان لرضى الله.. وللعودة لله تبارك وتعالى.. هذه هي التربة فعلاً..

ما شعور عبد الرحمن في الأيام الأولى للعودة إلى الله؟

أول إحساس شعرت به أنني أريد أن أموت؛ لأنني لا أستحق الحياة أبداً.. وذلك لشدة ندمي.. وشعرت أن حياتي السابقة لم يكن فيها متعة أبداً.. رغم أنني كنت أظن أنني أستمتع بحياتي.. فلما سمعت الآية - ولا أصدق حتى الآن كيف سمعتها - وجدت في نفسي الهمّة والعزيمة أن أعوّض كل ما فاتني.. أعوض حياتي مع الله سبحانه وتعالى.. كأنني كنت أفتقد النبي ﷺ أنا كنت أعتقد أن لي شخصية قوية جداً كإنسان رياضي وجسمي مميز وطويل، وألعب كمال أجسام.. فكأنني لو نظرت لشخص سيخاف مني، وأنني لو نظرت إلى بنت ستتمنى أن أكلمها.. لكن الحقيقة أنني كنت ضعيفاً من داخلي، يعني لم أكن أستطيع التعامل مع نفسي أو إيقافها عند حدها أو مخالفتها.. لم يكن لدي التصميم أو العزيمة التي تمكنني من ذلك.. لكن بعد العودة لله... اكتشفت نفسي كالطفل الصغير المدلل الذي أفسده أهله، فقلت: لا بد أن أربي هذا الطفل وأعوّده على أشياء لا يفهمها.. فبدأت أقول: سأصوم غداً مثلاً، فيبدأ الطفل داخلي يصرخ.. كيف ستصوم وأنت لديك عمل أو دراسة أو كذا؟ لكنني كنت لا أطاوعه، وأعرف أنه كلما صرخ كلما كان في هذا العمل خير، فكنت أصر على الطاعات لدرجة أنني اكتشفت في نفسي أشياء كثيرة لم أكن أعرفها عن نفسي، وهي قوة داخلية كبيرة، والحمد لله...

الحقيقة وعبد الرحمن يعرض تجربته شعرت أن قلبي فيه طمأنينة وراحة وبرد.. من أثر تفكري في عظم رحمة الله.. وتذكرت أثراً...

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود يقول: «**يا داود، لو يعلم المدبرون عني شوقي لعودتهم ورغبتي في توبتهم لذابوا شوقاً إليَّ، يا داود، هذه رغبتي في المدبرين عني فكيف محبتي للمقبلين عليَّ..**» فنحن أحياناً لا ندرك كيف يحب الله عودتنا.. ونموذج عبد الرحمٰن يؤكد على كرمه سبحانه وتعالى.. يعني: كانت حياته كلها مشاكل.. وأنا متأكد أن وجهه اختلف كثيراً جداً بعد الهداية.. بل كل شيء صار أجمل وأشدّ سعادة..

ركعتي التوبة

تروي قصتها وتقول:

لي قصة مع التوبة: أنني كنت دائماً ما أتشاجر مع والديّ وأختلف معهم، وصوتي يعلو عليهم، فلما عرفت أن غضب الوالدين من الكبائر، وأن كل ما أقوم به من أعمال صالحة وحسنات تذهب بمجرد نظرة غضب لأمي أو أبي...

عقدت العزم على عدم العودة لهذا الأمر أبداً، وكنت كلما غضبت أتوضأ وأصلي ركعتي توبة، وأعود إلى الله لعله يقوي أعصابي، وفعلاً كان قلبي دائماً يُؤلمني من داخله، حتى أصبحت والحمد لله لا أستطيع أبداً أن أرفع صوتي أمامهم، كأن الله نزعها من صدري تماماً، وحتى شعرت أن الأمر ليس نجاحاً مني، وإنما جاء من عند الله.

جميل هذا الأمر، وأريد أن آخذ من هذا الكلام

obeikandl.com

موضوع ركعتي التوبة هذا.. لان النبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يذنب ذنباً، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له»» [رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي بكر].

البعض حينما يسمع حديثاً قدسياً او آية تتكلم عن التوبة وحب الله لعبيده لا يُصدِّق ان ذنوبه كلها يمكن ان تغفر بسهولة اذا تاب..

بالفعل الناس غير مُدركة أن ذنوبَ عشرين عاماً يمكن أن تُغفر في لحظة واحدة.. وأنا أقسم لك أن ذلك ممكن بسهولة.

وانظر إلى الحديث القدسي الرابع: عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: **«من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة، ثم لقيني لا يُشرك بي شيئاً، جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إليَّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً، ومن اقترب إليَّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»**. [مسند الإمام أحمد].

وأحد الناس، أيام النبي ﷺ لم يكن يُصدق، فقال له: يا رسول الله، إني رجل كثير الغدرات ـ كثير الغدر مع الله.. هو وصاني وأمرني لكنني غدرت ـ كثير الفجرات، فقال له النبي ﷺ: **«تب»** قال: ويغفر الله لي غدراتي وفجراتي؟ قال: **«نعم»** فانطلق الرجل يجري.. وهو يقول: الله أكبر الذي يغفر لي غدراتي وفجراتي..

تنبيه: اذا لم تُصدق انه يتوب عليك فانت تنكر صفة من صفاته، أليس من صفاته التواب؟. يعني لو شككت في

الأمر، فكأنك تشك أن التواب صفة من صفات الله تعالى.. اذاً هذه معصية أن تشك أن الله سيغفر لك..

إذاً الشيطان يضحك عليك ويوقعك في معصية شديدة.. ولذا يقولون لك وأنت نازل من عرفة في الحج: إياك أن تقول: أشعر أن الله لم يغفر لي؛ لأن هذا سيكون أول ذنب بعد المغفرة..

حلم واستغاثة

أنا كنت غير مواظبة على الصلاة.. يعني لو شاهدت برنامجاً دينياً أو شيئاً من هذا القبيل فأنتظم يومين ثم أقطع مرة أخرى، حتى تزوجت، فكانت إحدى قريبات زوجي تُكلمني عن الصلاة ولكني ظللت أصلي أحياناً وأدع الصلاة أحياناً.. حتى حلمت في نومي أن النار اشتعلت في جسمي وجريت على قريبتي هذه أستغيث بها.. وانتهى الحلم لكن في المرة التالية التي حدثتني فيها عن الصلاة وجدت نفسي أذهب فوراً وأصلي، وربنا سبحانه وتعالى سهّل لي درب الذهاب إلى المسجد والصلاة فيه، وكان أول دخولي المسجد في صلاة العشاء والحمد لله حتى الآن لم أنقطع أبداً عنه..

كنت أريد لفت النظر الى أمر هام وهو التعجيل بالتوبة؛ لان كثيرين جداً ممن يقيمون على الذنب يقول: ان شاء الله قريباً سأتوب.. قريباً.. فكيف تقول ذلك؟.. الاجل غير معلوم.. لذلك علينا أن نُعجّل بالتوبة..

انظر إلى عظمة من تعصيه

أحياناً نشعر أننا نعصي ربنا؛ لأننا لا نعرف مَن الله؟ ولا نعرف نعمه علينا.. ولا نُقدِّرها.. لأننا لو عرفناه فعلًا لما تجرَّأنا أبداً على أن نعصيه..

الرسول ﷺ وهو داخل المدينة أول كلمة قالها: «**أيها الناس أحبوا ربكم من كل قلوبكم**».. يعني اجعل الله أكبر ما في قلبك.. فلو عرفت من هو الله ستتوب، ولو عرفت مقامه وقدره ستتوب.. فعلى قدر إحساسك بعظمة الله.. على قدر حيائك منه وخجلك أن تُغضبه وتعصِيه..تكون سرعة توبتك..

ما هي شروط التوبة؟

من شروط التوبة:

إنَّ أي ذنب بينك وبين الله، تريد أن تتوب عنه، له ثلاثة شروط، لأي ذنب مهما كان:

أولاً ـ الندم.. ومعناه..

لو أن إنساناً لديه ذنوب كثيرة جداً بين كبائر وصغائر، آلاف من الذنوب... يستشعر أنه قد تاب حين يجد وجعاً في قلبه.. فيه حرقة.. القلب يُكوى.. ويلتهب.. كيف عملت كل هذا في حق الله.. كيف فعلت كذا؟... وممكن أن يعمل الإنسان ذنباً من عشرين عاماً، لكنه كلما يتذكره يجد قلبه يرتعش من الخوف والندم.. هذا هو الندم.. أن لا تفخر بالذنب ولا تحنّ إليه.. بل تندم على فعله.

ثانياً: ترك الذنب ومُفارقة الأماكن التي تدعو إليه..

ثالثاً: العزم الشديد ومُعاهدة الله على عدم الرجوع للذنب..

إذا قمت بهذه الثلاثة يقيناً سيغفر الله لك، يمسح الذنب وتكون صفحتك بيضاء تماماً.

يعني: لو أحد القراء الآن استشعر ندماً على أحد الذنوب، وتاب لربنا وعزم على عدم العودة.. ستُمسح ذنوبه على الفور بمجرد أن يجد المولى ﷻ الصدق في قلبه.

هل التوبة تتم مرة واحدة وينتهي الأمر؟

بالطبع لا.. فالتوبة متجددة دائماً.. يعني: إذا أذنبت مرة، ثم رجعت، ليس أمامك حل إلا التوبة من جديد...

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، أرأيت إن فعلت ذنباً أيُكتب علي؟ قال: «**يُكتب**»، قال: أرأيت إن تبت؟ قال: «**يُمحى**».. قال: أرأيت إن عُدت؟ قال: «**يُكتب**» قال: أرأيت إن تُبت؟. قال: «**يُمحى**» قال: أرأيت إن عُدت قال: «**يُكتب**» قال: أرأيت إن تبت، قال: «**يُمحى**»، فقال الأعرابي: حتى متى يُمحى؟ فقال النبي ﷺ: «**إن الله لا يملّ من المغفرة حتى تملّوا من الاستغفار**» [أخرج معناه البيهقي].

شؤم المعاصي وبركة التوبة

الحقيقة أريد أن أختم بقصة.. قصة لطيفة.. قصة رجل من بني إسرائيل عصى الله أربعين سنة، فما ترك معصية إلّا وفعلها ولم

يتب لله مرة.. فجاءت سنة من السنين بقحط شديد، وبني إسرائيل لا ينزل عليهم مطر، وبدأت الدواب تُصاب، والزرع يجف، وبدأت الأنهار يتبخر ماؤها.. فبدؤوا يقولون: يا موسى، ادع الله أن ينزل المطر.. جمع سيدنا موسى بني إسرائيل: هلم ندعو، يا رب المطر، يا رب أنزل المطر، والمطر لا ينزل، يا رب المطر.. يا رب أنزل المطر، فقال موسى: يا رب عودتني الإجابة فَلِمَ لَمْ ينزل المطر؟.. فأوحى الله إليه: يا موسى، لن ينزل المطر، فبينكم عبد يعصاني منذ أربعين سنة، فبشؤم معصيته مُنعتُم المطر من السماء...

عرفتم سبب اضطراب البيوت وسبب المشاكل في البيوت؟ شؤم المعاصي، عرفتم الحالة الاقتصادية وأسباب ترديها؟. شؤم المعاصي...

فقال موسى: يا رب، فماذا أفعل؟ قال: أخرجوه من بينكم.. تأملوا كيف يُغضب العاصي ربه.. فوقف موسى يقول: يا بني إسرائيل أقسمت عليكم، بيننا عبد يعصي الله منذ أربعين سنة وبشؤم معصيته مُنعنا المطر، ولن ينزل المطر حتى يخرج، فليخرج من بينكم، والعاصي كان يعرف نفسه، فنظر حوله لعل أحداً غيره يخرج فلم يخرج أحد، فبدأ هذا العبد يُناجي ربه، قال: يا رب أعصيك أربعين سنة وتستُرني، وأنا اليوم إن خرجت فُضحت، وإني أعاهدك أن لا أعود إلى هذه المعصية، فتب علي واستُرني.. ففوجيء سيدنا موسى بالمطر ينزل من السماء، فقال موسى: يا رب، نزل المطر ولم يخرج أحد... فقال الله ﷻ: يا موسى، نزل المطر لفرحتي بتوبة عبدي الذي يعصيني منذ أربعين سنة...

لحظة.. يا من تعصي الله.. لحظة تنقلك نقلة عظيمة

فقال موسى: يا رب دلني عليه لأفرح به، فقال الله ﷻ: يا موسى، يعصيني أربعين سنة وأستره، ويوم يعود إليَّ أفضحه؟

... يا إخواني هذا هو ربكم كريم جداً... ويغفر الذنوب جميعاً، ومن المخجل أن نبعد عنه هذه السنين الطويلة.

صدقوني... رجل كان قد قتل تسعة وتسعين نفساً ـ لا يوجد واحد منا أسوأ منه ـ فقال: هل لي من توبة؟ فسأل، فقال له الراهب الذي سأله: يا بني، ليس لك توبة... فقتله، فأتم به المائة، فسأل عابداً آخر: هل لي توبة؟ فقال الرجل: ومن يمنع من توبة الله ﷻ؟ ولكن اترك الأرض التي أنت فيها، فإنها أرض سوء اذهب إلى أرض كذا وكذا فإن بها قوماً صالحين، فترك فعلًا الأرض وبدأ يتحرك.. وفي منتصف الطريق مات، فاختلفت الملائكة فيه، فقالت ملائكة الرحمة: قد تاب إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يفعل خيراً وقتل مائة نفس، فأوحى الله إليهم أن قيسوا بين الأرضين فانظروا إلى أي الأرضين أقرب.. فقاسوا بين الأرضين فقرَّب الله الرجل إلى أرض الصلاح شبراً واحداً، فأخذته ملائكة الرحمة. [أخرج معناه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري]..

أدركوا الشبر قبل أن تموتوا.. الشبر ممكن أن يكون توبة أو دمعة أو ركعتين تصليهما أو قبلة على يد أمك.

دعاء:

وأخيراً أحب أن أختم بالدعاء اللهم اغفر ذنوبنا.. استر عيوبنا.. ارحم ضعفنا.. اجبر كسرنا.. تولَّ أمرنا.. أعتق رقابنا من النار.. استر عوراتنا.. اقبل توباتنا.. اغسل حوباتنا وزلاتنا.. اللهم

لا تمتنا إلا وأنت راضٍ عنا.. اللهم أخرجنا من الدنيا على خير.. ونعوذ بك أن نموت على معصيتك.. نسألك قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ونعيماً وراحة وسعادة.. نسألك عيش السعداء وموت الشهداء ومرافقة الأنبياء والنصر على الأعداء.. نسألك عيشة هنية وميتة سوية ومرداً غير مخزٍ ولا فاضح.. تب علينا الآن.. تب علينا الآن.. حببنا في التوبة.. ردنا إليك رداً جميلًا.. نعوذ بك أن نتوه في الدنيا ونغفل عنك.. نعوذ بك أن ننساك وأنت لا تنسانا.. خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد.. تتودد إلينا برحمتك، وأنت الغني عنا.. ونتبغض إليك بالمعاصي ونحن أفقر ما نكون إليك.. يا ودود اعف عن المساكين ارحم الضعفاء.. اغفر للمذنبين.. يا من تحب أنين المذنبين حين عودتهم إليك.. اقبل عودتنا اقبل توبتنا.. يا رب انقطع رجاؤنا إلا منك وأغلقت في وجوهنا الأبواب إلا بابك.. عبيدك كثير أما نحن فليس لنا رب سواك.. فاقبلنا وارض عنا... آمين آمين آمين وتقبل الله منا ومنكم.